



أذار - نيسان ١٩٦٥

العدد الثالث والخمسون

## المسيح

### بولس السادس في سنة حبريته الأولى

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

تظل الكنيسة في ايام تاريخها علامة استنهام للذين لا يشاركونها ايمانها بالمسيح الإله ، وتظل سائرة وراء المتصر على الموت إليها بين الاضطهادات المتنوعة. وفي طريق التواضع والانسحاق . فهي على الأرض جسم المسيح السري ، ذلك الإله المتأنس الذي تألم ومات وقهر الموت بقيامته . ولئن تكون وريثته في المجد قبل ان تتألم . هذا ما قاله بولس الرسول في رسالته الى اهل كورنثوس (٢٤/١) : « اني افرح الآن في الآلام من اجلكم وأتم ما ينقص من شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة » وما زده في كتابته الى اهل غلاطية (١٧/٦) : « اني حامل في جسدي سمات الرب يسوع » وما قد نبته في كلامه على الذي يعتمد انه « يموت مع المسيح ويقوم معه » . فاذا كانت الكنيسة جسم المصلوب السري فهي ايضاً الجسم الارضي

للمتصّر على الموت يُحييها الروح ويُنمّيها : « اذ اننا جميعنا اعتمدنا بروح واحد لجسد واحد ... وجميعنا سفينا روحاً واحداً » ( ١ كو ١٢/١٣ ) وبهذا نؤلف جميعنا جسماً واحداً . وهذا الجسم يتغذى من القربان ، من ذلك الخبز السماوي النازل من عند الآب اذ ان « كأس البركة التي نباركها ليست هي شركة دم المسيح والخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح » ( ١ كو ١٠/١٦ ) . انما الكنيسة وان كانت جسم المسيح السري ، مقدساً ومقدساً فيظل فيها اعضاء مرضى واعضاء مائة « ولذلك كثر فيكم المرضى والقعاقم » ( ١ كو ٣٠/١١ ) . والحالة هذه فان الكنيسة جسم المتصّر على الموت لا تعمل بكامل روحانيتها فانخطئة والمرضى والموت تثقل هذا الجسم الذي ليس فيه مبدئياً علة انما الاعضاء باقون في جسدهم الشهواني وفي الخطيئة .

وفيا ان هذه الكنيسة مستمرة على الأرض تكمل المسيح في عمله الخلاصي بين البشر . وتعطي النور والحقيقة لمن اراد ان يرتشد فانها بعد ان تكون ربطت مؤمنها برباط الأسرار رباطاً شخصياً لا تنقسم عراه بالمسيح المختص تجمع كل اولئك الذين يريدون السير مع المسيح في المجتمع الذي اسسه على صخرة بطرس هامة الرسل تحت سلطة رجل اقامه الكلمة المتأنس رأساً وقائداً وراعياً يتكلم باسمه وينوه بكلام الخلاص الذي اعطاه للعالم يوازره في ذلك الروح القدس ويمنعه عن الشطط كلما هم في تثبيت ايمان الجماعة المسيحية وهدايا كسب الله المختار في طرق الحياة المثلى والشهادة .

تخار عقول الغير المؤمنين في ماهية ذلك الرجل الثاني وفي عظمة سلطته الروحية وامتداد رعايته . لقد كلّف بتوطيد ايمان اخوته في الرسالة وابعطاء « النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آت الى العالم » ( يوح ١/٩ ) للذين يفتشون عن الحقيقة كاملة صافية . فمن هو ذلك الرجل ؟

في زمن تصاعدت فيه اصوات الالحاد والمادية التتالة وكثرت الفلسفات اهدامة التي تطيح بكرامة الإنسان اذ تجعله محور حياته وتريد ان تبعده عن الله ، تبدو الكنيسة صامدة صلدة لا تقوى عليها ابواب الجحيم ، كلما اشتدت عليها الاضطهادات جدّدت حياتها وعادت امارات وجهها تكلم الدهر على امارات المسيح بالذات . فما هي هذه الكنيسة في سرها العجيب ومن هو ذلك الرجل ، اليا با ؟

فاذا ما ارتفعت اصوات الحروب وجلجلة الأسلحة وتوتّرت بين الشعوب امور السلطة والسيطرة ، رأيت الناس ينظرون الى ذلك الرجل يصفون الى كلامه ، وفيه خير ، وفيه طلب سلام واخوة بين افراد الجنس البشري ، وفيه ان يساعد

القوي الضعيف وان لا يخاف الضعيف من القوي اذ هم ابناؤا أب واحد وهو الذي في السماء خالق الاكوان ومكوّن الانسانية . فذاك الرجل يحصل معه ، من يوم ان نلتق السدة البطرسيّة ، سرّ هيبه لا تترك العالم في اللامبالاة ولا تجور على أحد في غطرسة بغيضة اذ يريد ان يتصل بكلامه بأبناء البشرية كلهم . وهي ايضاً تلك الدول الغير الكاثوليكية التي تعطي كلامه ميزة الشيوخ في البشرية فننظر اليه وتتحقّق صدق عاطفته وفعالية اهتمامه بامور المسكونة في سلامها وراحتها وتقدمها . فعمّ تفتش هذه الشعوب كلها ؟ انفتش عن رجل يري من راحتها المادية و سلامها المادي في حيرتها المستمرة ، ام انها في اعماقها تفتش عن رجل يبشّر بالحقيقة والعدل والحقبة وفيه وبه تبدو الكنيسة التي رأسها في السماء ورجلاها على الارض معلمة واما تهدي الشعوب وتجذبهم بصورة غير حية بتلك القوى الداخلية التي هي منها والتي اُتمنت عليها . ومن غير الكنيسة بتأئدها البابا عبّر : ولا شك ، عن سلطة لا تمس . ولمّ بحاربها إن كانت له خيفة سافلة ؟ لمّ بحاربها لو لم تكن حاملة رسالة عالية لا يطيق حملها . من هو البابا ؟ فما ان أعلن الثام انجمع المسكوني حتى حبت تلك الشعوب الارضية مع ما يجذب اهتمامها من تقنية وعلم : من مادية وزمنيات من شهوات واميال تنشر الخبر في المعمور كله حتى لا يغيب عن احد خبر هذا الحدث انشامل وكأني بالكنيسة صارت ملكاً للجميع يطليون تجديدها وبياسطتها السلام للعالم بتلك المبادئ الصادقة التي توحد الارادات وقلوب الجماعات . هذا هو البابا ذاك الذي يحمل على كرسي الرئاسة الروحية الاولى في العالم لطفاً وقوة : محبةً وغيرةً لا حدّ لها مع يوحنا الثالث والعشرين او مع خلفه المالك سعيداً بولس السادس الذي ما ان ترك سلته هذه الثانية حتى بدأت التكهينات تطلب من الذي سيعتلي العرش ان يكون خير خلف لخير سلف وأظهر العالم بهذا ان البابا منحصر وان له عليه حقوقاً في خدمة المعمور . وما هذا الا التعبير الصحيح عن ان البابا هو ذبيحة في سبيل الكل وتقدمة للكل : فهو للجميع : اب الافراد والجماعات والعالم ينظر اليه نظرة أمل وتناوّل . وهو يجيب تلك الآمال بانه يعيش على كرسي بطرس سلطة وحقيقة ، وحفصة أمنها له المسيح الاله في وعوده لبطرس بالذات : « انت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيتي ... سأكون معكم الى منتهى الدهر » . فتقبل ان يصير الخبر فهو الكردينال الفلاني مع همومه واهتمامه . وبعد ان يصير بابا حبراً اعظم لا تفرقة عنده ولا تفضيل : كله لابنائه مع مشاكلهم التي تنسب مشاكله . الخبر يصير شخصاً آخر اذ ان هناك سرّاً عجبياً يعمل فيه ليحسّه ولتعتقه

من انانية الذات . فانتعب والسهر والعمل المستمر هناك وهناك والى اقصى الارض . يحمله كل ذلك الى تحمس تعب وسهر وعمل كل اولئك افراداً وجماعات الذين يقومون بواجبهم المسيحي هنا في رومية وهناك في الرسائل البعيدة : هنا في الدروس وهناك في التقارب بين الاديان التي تعيش بينها الكنيسة . هنا في الادارات وهناك بين العلمانيين الذين صرنا الى يوم عملهم ونشاطهم اليسوعي . ولذا فعمل بولس السادس تقليدي وجديد : جديد بروحه ومجدد التقليد بالذات وقد اعطاه المعلم الإلهي سلطة التفسير المعصوم لصالح الكنيسة جمعاء بين الازوال والمصاعب والاضطرابات المتعددة التي تتقلب فيها شعوب اليوم . فلا تغيب الكلمات التي قافنا في بيت لحم عندما كان يزور الأراضي المقدسة : « فليعلم العالم اننا نحبه واذا ما كان بغريب عن الكنيسة فان الكنيسة لا تشعر بانها غريبة عنه . لا يستطيع الانسان ، وان اراد ذلك ، أن يمحي الله من أفق حياته . وخاصة من تلك الالام والعذابات التي تبتل ايامه بالدموع » . فالبابا يعلن كل يوم بمواجهته للجماهير من الشعب المختلفة الالوان والآراء والاميال والتزعجات ان الكنيسة ليست بغريبة عن العالم انتقام .

هذا هو البابا ، خليفة بطرس ونائب المسيح الاله على الارض : هو الصخرة الصلدة ، التي لا تتزعزع ، التي هي في اسس بنيان الكنيسة . ولقد استعمل يسوع صوراً ليبرهن عن اعماق افكاره فتكلم على المفاتيح ، مفاتيح الملكوت ، والمفاتيح تعني السلطة ، كمال القدرة . التي لا تتحقق على الارض بل يصل مفعولها الى السماء . وتكلم المسيح على الشبكة وعنى بها عظمة ووهية الرسالة العظمى . « اجعلك صياد البشر » . واخيراً صورة الراعي التي تدلنا على ان لنا معه للخلاص صلة قوية ثابتة .

واذا زدنا على هذه الصور كلها صلاة المسيح على نية بطرس وحده : « صليت لأجلك كي لا ينقص ايمانك ... وانت ثبتت اخوتك » هذه هي أولية الحبر الاعظم في كتبها الاصيل وهي ليست لاستبعاد الجماعة الرسولية التي نراها اليوم في الجماعة الاسقفية : انما هي لتدعم بقوتها الشاملة الاخوة الذين اقامهم المسيح رعاة لرعاية القطيع . وهذه القوة الشاملة تعني مسؤولية تسليم الاله الانسان الذي اعطاها : وهي في خدمة توطيد ايمان من كلته بهم على هذه الأرض . ولقد فاه الآباء القديسون بهذه الحقيقة فقال امبروسوس : « حيث بطرس هناك الكنيسة » وزاد القديس لاون اذ قال : « بطرس لا يزال في الكنيسة بشخص خلفائه وإن كان احدهم لا يستحق هذه الوراثة العظيمة » . انما كل منهم يجمع فيه لا وراثة الاخير من الاحبار الذين سبقوه ولكن تلك

التي من بطرس اليه تحمل سلسلة من الروحيات والوعي الرسولي والايمان الصافي الجري الذي لا يهاب بشراً . هكذا كان يوحنا وهكذا بولس السادس واختيار اسمه عنوان اقتداسة والرسالة ، عنوان تقارب مكوثي مع الاخوة المنضلين وشيرة متوقفة لخدمة الجميع ولواجهة عالمنا مع ما فيه من جمال وشر : مع ما فيه من حياة وموت كمي يعطي المسيحيين المؤمنين ابناؤه قوة ليكونوا مسيحيين عليهم امارات وجه المسيح في عالم تهترئ كل يوم اصوله ، ليقبلوا الانجيل كما هو لا يترقون ما يريدون من صفحاته ليكونوا على هذه الثانية حجاجاً يسرون دون ان يلتصقوا بمغرياتهما ، لينفتحوا على اخوتهم اولئك الذين يعيشون في العالم دون انانية ولا اثر ، ليعلموا ان حياتهم هي خبيرة في العجين ووسيلة خلاص للجميع بعمادهم الذي اعطاهم ان يكونوا مع المسيح شخصاً واحداً .

## I

من يوم ان تسنم بولس السادس السدة البطرسية وهو يعمل في ايقاظ الوعي العقلي عند الشعب المؤمن وعند سائر شعوب العالم . ففي خطاب القاه في الخامس من نيسان الماضي امام طلاب الجامعة الكاثوليكية الميلانية واسانذتها ينسر لم فيه انجيل ظهور المسيح الاله لتوما الرسول يقول لهم : « اتركونا نطلب اليكم ان تسمعوا ، ان تقبلوا ، ان تختبروا كلمة المسيح هذه : ان الايمان غبطة ... ليس الايمان قهر التذكير الشخصي ولا حاجزاً في طريق التفتيش العلمي ولا عبء على الروحانية التي تريد ان تتكون في عصرنا ، ولكنه نور ، صوت اكتشاف يفتح النفس ويعطي الحياة والعالم معنى ؛ الايمان بهجة العلم المطلق ؛ الايمان بهجة المعرفة ، معرفة الحقيقة ... »

هكذا دوماً عند بولس السادس ، فالايمان يطلب ان يفهم من عقل بشري يركز في الحياة وفي ثقافة زمن من الازمنة . هكذا كانت الكنيسة تفتش ان تطبق البشارة الالهية على عالم تعيش فيه . وفي المجمع اليوم نرى وتحس ارادة الكنيسة جذب في خدمة العالم : هذا العالم المفتوح الى الاعالي لولا تدخل العقلانية الانتقادية والمادية التاريخية لتعيد العالم إلى اختيار حسي والى الانكماش على ذاته فاننا نتأكد من خلال فلسفة اجتماعية وطدت مبادئها في مناطق واسعة ان تلك الجماهير لا تزال تزور الى الاله الغير معروف . انما عندما تأتيهم الكنيسة برسالتها وببشارة المسيح تسمع اصواتاً متناقضة تتصاعد من كل جهة تضحك وتهزأ وتنحى طالبة العودة الى ذلك مرة اخرى .

ان تعليم الكنيسة في هذه الفترات الأخيرة يلع بالعودة الى الفضائل الطبيعية

التي يفرها ويدافع عنها متى احدثت بها المخاوف وازادت الشهوات البشرية ان تطيح بها ، متى قام الظالم او الثني « العلمي » ليديما . وعندما تتكلم الكنيسة وتجد لتلك القيم اسماً كتابية نسمع اصواتاً مغايرة تردد : « نسمعك في آن آخر . » وهم يعتقد بعض الملحدون ان الكنيسة لن تتجدد وانها ستنتفك مع الحقيقة في مجرى التاريخ المتقلب الرجوه .

ان انعطال والتكرار البشري متى ابتعدا عن الايمان خسرا جناحها وهبطا الى الارض ليكونا فلسفة ارضية تقوم مقام الدين وهما يعتقدان ان اكتشافات العلم مطلقة لن تتغير وان آفاق العلم نفسها لن تتوسع لتحل محل ما نراه اليوم : اكتشافات جديدة توسع المعرفة الحسية وهكذا الى اجيال . اما الخير الاعظم عندما فر انجيل عيد العنصرة قال : « ان الروح القدس هو الذي يهدي ويساند في التفتيش العقلي والاختباري لأن الحقيقة المطلقة لا تخاف من الحقيقة التي يتوصل اليها الانسان بعقله » .

ومن لا يذكر ذلك الخطاب الآخر الذي فاه به البابا أمام التناين : يوم خميس الصعود ، في كنيسة السيكتين البية اذ أولى الخير الاعظم التناين دور الكاهن والوسيط : « ان خدمتنا هي الوعد وهي ان نقرب ونفهم عالم الغير منظور ، عالم الروح : عالم الله ، وان نخلق نمو حثان البشر وعاطفتهم ... وهذه الصفة هي لكم ايضاً عندما تجعلون عالم الروح في متناول البشر ... » كان البابا ولا شك يعود في كلامه الى الوحي الديني في الفن . انما يطبق كلامه على كل صورة فنية التي هي دوماً وسيلة حقيقية مرئية ، ومفهومة في كتبها ومعطاة إلى الغير . وفي هذا ايضاً إن الحساسية هي بحاجة للغذاء الايماني : « ... واتم ايضاً نفتحون عن هذا عالم اللاسنطور ونجدون ان وطنه هو دوماً الايمان والصلاة ايضاً والدين ... » « ... واذا ما فتحنا حقيقة عن المسيح حيث هو في السماء : نجلده حاراً في نفوسنا : فالله المنزه صار داخلنا : صار الصديق الباطني : صار المعلم الروحاني ... »

فليس فن بدون ايمان . ولربما فسرنا ما نراه في الفن القائم في ايماننا هذه . لا يدخل اطواره الا من تدرّب وفهم . فيه روح ، فيه شيء يعلو الانسان نفسه ويبدو بصدق واستقامة ، هو الايمان بالاله الغير معروف الذي ينتظر ان يبلو بوضوح اكبر .

في هذه الفترة الأخيرة لقد قيل ان ما هو حسن في الفن مصدره « علماني » . انما الماضي يدل على ان هذا الأحسن مصدره الإيمان الذي يقبله الانسان ويفهمه .

ان نسيان الايمان ، ان اللامبالاة تحجّر النفس والثقافة والفن وتسطر الشخص شطرين .

ليس للكنيسة ان تهتم مباشرة بالمدينة والثقافة . ليست هذه رسالتها . ولكن التقدم العقلي والتمدن ونمو الفكر والفن انما كل هذا جزء لا يتجزأ مما وعده المسيح للذين ينتشون عن ملكوت الله . فان تعليم بولس السادس الذي يلح على الايمان وعلى اولية الايمان في الحياة البشرية يريد ان يردد هذا : طوبى لمن ينتش عن ملكوت الله فله ان يدخل في كل تطور خير وامان .

## II

في ذلك المساء الحار ، في عظمة ماحة مار بيطرس في رومية وفي ابهة الطقوس الكنسية ، في ٣٠ حزيران من السنة الماضية كانت كلمة بولس عن الكنيسة ووحدها مؤثرة للغاية . « انا في هذا المضمار تقبل بعاطفة وتأثر ورائة يوحنا الثالث والعشرين الذي اذا استلهم الروح القدس ، اعطى حياة لأمل عظيم . وواجبنا ان لا نخب هذه الآمال ... فان ارادتنا ، وقد حملنا سلاح الحقيقة والمحبة ، في ان نتابع في المكالمة التي بدأت ، كل ما في وسعنا ان نصنع » .

فبعد مغني سنة من هذا الاعلان نستطيع ان نشكر المسيح على ان المكالمة اتى بدأت دامت وان العمل الذي قام به السلفاء يكتمل تحت انظارنا . وما ان سمع مراقبو الكنائس الغير الكاثوليكية كلام بولس السادس في ذلك المساء التاريخي حتى حتمت بالعودة الى جلسة المجمع الكونفسي الآتية وحتى اتى غيرهم من كنائس غيرها الى ان اعلن بدء تلك الجلسة فوجه البابا كلامه الى المراقبين الحاضرين وقد اجتمعوا حول المذبح قائلاً لهم : « انا نرسل بواسطتكم سلامنا الابوي والأخوي لتلك المجموعات الكنسية المسيحية التي تشملون . فصورتنا برجف ، وقلبتنا يرف لان قريبكم منا اليوم هو تعزيتنا العزيزة والتي تضيق كل كلام ولسنا الصادق كما وان فراق الكنائس تلك هو ألمنا المفضي . فاذا كان هناك ما يعود لنا من خطيئة في ذلك الفراق فانا نطلب الى الله بتواضع كلي ان يغفر ما بدا والى الاخوة الاحياء الصنح اذا ما كانوا احنوا من قبلنا . ونحن مستعملون بما يتعلق بنا ان نسامح الإهانات التي قليت ضد الكنيسة الكاثوليكية وان ننسى الألم الذي كان ألمها في سلسلة الفترات وترفع الى الاب السماوي كلامنا هذا ونطلب اليه ان يجمعنا من جديد في اخوة صادقة حقيقية » .

وفي السابع عشر من تشرين الاول عندما استقبل البابا بولس المراقبين

في مكتبته الخاصة : تكلم اول من تكلم في ذلك الاجتماع الكردينال بيا رئيس  
سكرتيرية اتحاد المؤمنين وبعده حضرة الاستاذ مكيسجارو رئيس الوفد اللثيري  
وبعده جاورب الاب الأقدس فقال : « تقارب ومقابلة وسلام ومعرفة ومكاملة :  
فلا اسهل ولا احلى .. انما هنا نرى اكثر من ذلك : ان نسمع بعضنا البعض  
وبعد السنين العديدة التي فرقت : بعد جدالات مؤلمة . ان نبدأ من جديد محبة  
صافية . صلاة واعية : هذا ما يجعل هذه المواجهة تاريخية لا يُحصى ذكرها .  
اذ هي ملأى بالفائدة » .

وبعد ذلك كان المراقبون في كنيسة مار بطرس يصغون الى المجادلة حول  
ما هيأه انجمع للبحث عن الوحدة المسيحية .

انما كانت ارادة البابا ان يشارك في تلك المكاملة الاخوية الشعب المسيحي  
بكامله . فسُمح لاحد المستمعين العلمانيين وهو جان جيتون ان يتكلم امام البابا  
وهيئة انجمع بكاملها في اليوم الثالث من كانون الاول الماضي ليشرح ما هو  
الروح المكوني عند كل كاثوليكي . وفي اليوم التالي تكلم البابا واعلن عن  
حجته الى الاراضي المقدسة . وبهذا الاعلان تفتحت الآفاق المكونية وزادت  
وسائل المكاملة الاخوية بين اخوة فصلتهم اجيال واجيال . فأم رومية استنف  
تياثير موفداً من البطريرك المكوني وكان يبدو اذالك للجميع ان هذا الاخير  
سيأتي الاراضي المقدسة ليقابل الخبر الاعظم . وهالك حوادث عديدة هي في  
معرفة الكل تراكت ايام الحجج المباركة : الى ان فاه البابا بتلك الكلمات الطيبة في  
بيت لحم : من الآن فصاعداً انه لمن الواضح للجميع ان مشكل الوحدة لا  
يستطيع احد ان يجنله ؛ اليوم ارادة المسيح تمتطينا ان نعطي لكل مسيحي ؛  
بمحبة ومحبة ، فائدة وحدة الكنيسة المطلقة . « وهكذا كانت المكاملة التي ترجمت  
ايام انجمع لا تزال قائمة ومن ظواهرها ارسال بعثة باباوية لحضور الحفلة  
التكريمية التي اقيمت في موسكو على شرف صاحب الديريل البطريرك الكسبي ؛  
زيارة البطريرك المكوني ؛ زيارة مجمع الكنائس في جنيف ؛ زيارة رئيس  
اساقفة كاتربري الى ما هناك من الزيارات . ولم لا نذكر تلك الرسائل التي  
ذهبت الى التسطنطينية تحمل بشرى القيامة وتعيد الى الحياة تقليداً كنياً كان  
به رؤساء الكنائس المحلية ترامل مع البطارقة للتهنئة في الاعياد الكبيرة . لم لا  
نذكر ايضاً ذلك الخطاب الذي به اعلن البابا عن ارادته السنية باعادة رأس  
القدس أندراوس الى باتراس وفي ذلك ما فيه من قبيل الخبر الاعظم من احترام  
الكنيسة الارثوذكسية ومن محبة اخوية صادقة أمينة ، « لكي تزهو كما قال البابا ،  
أخوة بطرس واندراس في وحدة الايمان والمحبة في الكنيسة المقدسة التي اسماها » .

## III

من البوادر الطيبة التي قام بها البابا بولس تكوين سكرتيرية للاتصال بالاديان غير المسيحية . فن آخر ايلول ١٩٦٣ الى افتتاح جلسة المجمع المسكوني التالية اظهر : في ظروف مختلفة ومتعددة ، ارادته العالية تلك ، فتكلم عليها في كتاب ارسله الى الكردينال تيسران عميد المجمع الكرديتالي وفي خطاب فاه به امام خمسة آلاف اكليريكي من مختلف المدارس الرومانية . فكانت هذه النكرة تراوده بلا انتقطاع وكانت قد اختمرت في عقله اذ انه يريد ان يطلع البشر كلهم على ماهية الكنيسة في شواطئها . فان الكنيسة تلك التي اسماها المسيح لن تصير شاملة عملياً الم بدخلها البشر كلهم او الم تصر لهم الامكانية في دخولها .

فالخبر الاعظم في خطاب قاله يوم العنصرة جدد حزمه على ان تكون الكنيسة كاثوليكية شاملة عملياً اذ اوضح : « اقول لكم ان ضرورة الجواب على واجب الكنيسة ان تكون شاملة بهز المؤمنين هزاً . فانظروا الى خدمة الاكليروس والعلمانيين اليوم : انظروا الى الارشالات ، انظروا الى المجمع المسكوني . انظروا الى الاهتمام الذي يدفع بالكنيسة ان تقوم باحترام وصدق بمكاملة النفوس كلها ، بمكاملة اشكال الحياة اليوم كلها ، بمكاملة المجتمعات المختلفة الاجتماعية والسياسية كلها التي تقبلها في صدق مطلبي وفي انسانية حقيقية . انظروا الى الدروس التي تقوم بها الكنيسة لتتقرب الى الاخوة المسيحيين المنفصلين عنها . انظروا الى الجهاد الذي تعمله لتتقرب ولو حسب القيم الطبيعية فقط ، الى الذين يخصون الاديان الاخرى » .

وبعد ان دنا على وسائل الرسالة اليوم التي تعمل في مناطق متعددة لتحقيق شمول الكنيسة ، يبدو الخبر الاعظم مصمم النية على ان يعلو على كل هذا ليثبت نهائياً مقابلة اوسع ، على الصعيد الطبيعي فقط ، مع المليار والنصف من البشر التي لم يمر عليها بعد روح الانجيل . وادف قائلاً : « واننا نبشركم بما سيكون له قوة العنصرة وقيمتها : اننا سنؤسس هنا في رومية سكرتيرية تعني بشؤون الغير مسيحيين » .

فهؤلاء اخوة لنا في البشرية نجبهم مثل ما نجب نفسنا : خلقهم الله نفسه ووضع في قلوبهم الشريعة الطبيعية التي توحد بين ابناء البشر . وما في هذا التقارب من جدل او من دفاع عن النفس . فاننا ، يقول البابا ، عارفين بان الله اعطانا مجتأناً ما هو لنا ولذا فاننا نواجه الاخوة كالتد للند بتواضع كلي بصدق ومحبة لا نفتش الا عن تعارف متبادل لتكشف سوية كثر التمدن

والتدبّن في الشعوب قاطبة . وهذا التقارب ليُفضي الى تفاهم متبادل ، الى عجلة في المساعدة الاخرية والى الدفاع ضد كل ما يهب على قيم التمدن البشري من اعاصير .

وهذا التكاثر لن يكون فقط مع الشعوب الغير مسيحية ولكن مع البلاد العظيمة التي يقطنونها بدون استثناء وبدون ان تتأثر من موقفهم القائم اليوم : اذ كلهم قريب لنا وحب قول رسول الامم : « خير الجميع علينا ان نضيحي بانفسنا » .

## IV

بعد ان قدم مجمع الكرادلة خضوعهم المثلث للحبر الجديد بولس في ٢٢ حزيران ١٩٦٣ في الكنيسة السيكتينية وجه لهم هذه الكلمات : « تمر على العالم كله كشعلة ايمان ومحبة عظيمة تلهب العالم كله وتطلب طرق التكاثر المتبادل وتفيض على البشرية جمعاء غزارة نعم الحية : قوة الله بالذات التي بدونها لا قداسة ولا صموداً ولا صحة » .

لا تبادل ولا تكاثر كلامي في أن يرثي البابا احوال العالم دون ان تساعد الكنيسة هذا العالم المتألم الذي يطلب دواءً شافياً أميناً . وهاكم قطعة من خطاب القاء في الكنيهة الذين اشتركوا في مؤتمر التجديد الراعوي في ٦ ايلول ١٩٦٣ : « لا تفكر بان اهتمام الكنيسة الراعوي الذي سنته لما كبرنا مع عمل والذي يأخذ باهتمامها الكلي وبعطفها المتزايد لا يعني تغييراً في الحكم على الاضاليل منتشرة في مجتمعاتنا اليوم والتي رذلتها الكنيسة مرات كالمسيحية الملهدة مثلاً : فاذا ما قشقت الكنيسة عن دواء ناجح لربما مميت فلا يعني هذا تغيير التفكير على هذه الاوباء ولكن يعني هذا ان الكنيسة تريد ان تحارب تلك الاضاليل نظرياً وعملياً : يعني انها تريد استعمال الدواء ضد الداء ، يعني انها تريد بعد ان تحرمها عقائدياً ان تحيظها بمحبة خلاصية » .

فبأي طريق تتقرب الكنيسة من العالم ؟ بادئ ذي بدء بتقوية روحها وبتوضيع قواها الغير المحدودة في سبيل ربح النفوس . ففي التاسع والعشرين من ايلول سنة ١٩٦٣ بينا كان قداسة البابا يفتتح الجلسة الثانية للمجمع المسكوني الثاني والثلاثين قال : « حدث فريد : الكنيسة اليوم تفتش عن ان تحيي حيويتها الداخلية بروح السيد المسيح : تتميز عن المجتمع المدني الذي فيه تعيش وفي الوقت عينه تقول عن نفسها انها اخميرة الحية والوسيلة الخلاصية للعالم نفسه . وهي تدعم دعوة الرسالية يجعل البشرية جمعاء : في اي موقف كانت ، موضوع رسالتها التبشيرية الفائقة » .

وفي ختام تلك الجلسة الثانية في الرابع من كانون الاول فتح البابا قلبه للاساقفة ومن خلالهم لكل المخلّعين بدم المسيح فقال: « قبل ان يجادل هذا الحفل الكريم مشاكل الرسالة الحديثة انا نعلم ماذا ستكون الحلول لتلك المشاكل. ان تعليم الكنيسة ثري وكله نور ، وأن حياة اخوتنا القديسين تدلنا على الطريق ؛ الا نستطيع من الآن ، بعد عودتنا من هذا المجمع ، ان نحوي قوتنا الراعوية بان نحمل الى ابائنا والى من يهمننا امرهم كلام الارشاد والقوة ؟ الا نستطيع من الآن ولكي نهيّ الجلسة المقبلة ، ان نعطي حياتنا الباطنية قوة وميلاً لسماع كلام الله واعياً صميماً ؟ ألا نستطيع ان نحمل لاكليروسنا بشارة الحرارة والحب ؟ وللعلمانيين سلاماً يشجعهم ويولهم الثقة ؟ وللشيبة دعوة تجعلهم يصمدون ؟ وللمفكرين شعاع الحقيقة ؟ ولعالم العمل بشارة الامل والعطف ؟ وللفقراء الطوبى الاولى التي وجهها السيد المسيح : طوبى للساكين بالروح ؟ » وبعد ثلاثة اسابيع وجه قداسه خطاب الميلاد فيه تحليل واف لأحوال البشر لحيرته وعدم كفاءة الحياة الدنيا وصرخة مدوية بالأمل الواسع : « وحدة النفوس هي اليوم حاجتنا الكبرى . الثقافة التي تقدّم هذه الحاجة لا تكنيها ، ولكنها تزعجها لكثرة الافكار التي توزعها دوماً في المجتمع ؛ فالبشر تنقصهم وحدة في مبادئهم في افكارهم في مفهوم الحياة والعالم . وطالما هم منقسمون على بعضهم يجهلون بعضهم ، ييغضون بعضهم يجاربون بعضهم . وبهذا نرى قيمة العتيدة في حياة البشر . ولذا نرى عظمة حالنا في مجي المسيح إلى العالم . اني ليقم صلة واحدة او شاملة بين البشر والله ابيهم السماوي . وهذه الصلة الدينية هي اساس الوحدة بين البشر ، اساس خصب حتى في يقظتهم الشخصية فان السلام الاجتماعي الحقيقي يولد من الوحدة الدينية المسيحية . هي تلك الوحدة التي بدأت مع المسيح في التفكير وفي التاريخ ، نود ان تكون ما تشناه لسلام ووفى وعبه وتفاهم وجور الذين لهم الارادة الصالحة » .

وفي نهاية المطاف ، من بيت لحم صوت البابا دوتى في المعمور حاملاً ذكريات تلك المفارقة حيث بدأت حجة ابن الله الى الارض ومنها شعت عطايا الله وبركاته : شعت انوار مثل المسيح وعظمته وسيطرته المطلقة على العالم المخلّص بدمه : « نريد بادئ ذي بدء ان نكون حاضرين في هذا العالم الذي نعيش فيه . نحن مثلر وناشرو الدين المسيحي . لنا ملء التأکید انا ننشر امراً هو من الله ، نحن تلاميذ ، رسل ، مرسلو يسوع ابن الله وابن مريم ، المسيح . نحن مكملو رسالته ، حاملو بشارته ، رسل عقيدته ، خدام دينه ، ولنا على اعمالنا وخلصنا مصادقة الحق . وليس لنا الا ان نبشر بايماننا . لا نطلب شيئاً سوى الحرية في

ان نعلن وان تقدم لمن يريد بحرية مطلقة هذا الايمان وهذا الدين، تلك العلة التي اقامها بين الله والبشر، سيدنا يسوع المسيح .

ولنا امر آخر نطلب الى العالم ان ينظر اليه بصدق : الا وهو غاية رسالتنا المباشرة : وهي هذه : إرادتنا ان نخدم العالم : ان نساعد في خيره وفي خلاصه . ونظن ان الخلاص الذي نقدمه له هو ضروري .

كلامنا هذا يحتوي على امور كثيرة غير ما قلناه : ننظر الى العالم بملء العطف والتفهم . اذا كان العالم يشعر بنفسه غريباً عن الدين المسيحي فالدين المسيحي لا يشعر بانه غريب عن العالم . ايا كان العالم واية كانت مظاهره . وليعلم العالم انه مقدر منا ومحجوب ممن يمثل وينشر الدين المسيحي محبة عالية لاحد لنا . والحجة هي التي يضعها ايماننا في قلب الكنيسة تلك التي نخدم بواسطة محبة الله العظمى والعجيبة نحو البشر» .

ولنا هنا في عرض مبادئ . فاما هذه المبادئ في الحياة البيبية تطبقت لحاجات مختلفة . وقال البابا في الثامن من حزيران ١٩٦٣ لمعطي الوحدة المسيحية «أتم مثل الحياة الحديثة بالذات التي هي معجونة بالحدث التجارى وبروقنا ان نرى فيكم تطويراً للمقدورات البشرية التي توسعت في مدارسكم وصارت مقدرات هائلة ووضحت الفكر الالهي على وجه الانسان واكتشفت اثر التفكير المتزده في عالم مفتوح لمغامرات جديدة وسيطرات جديدة . واغل الذي احتلتموه في اطار الحياة اليوم عظيم دقيق ووجيه . ونحن كمن يرى بنظرة وضعية الحقيقة التاريخية والاجتماعية التي نحيط بنا : نعرف باهينكم وبقدر ما يمكننا الامر نعرف لكم بالجمل ونفرح لكم ونشجعكم . وكلامنا هنا تعبير عن موقف الكنيسة تجاه عالمنا : موقف انتباه وتفهم واعجاب وصدقة» .

فالباپا بولس قبل ان يعتلي السدة البطرسيه كان معاوناً قيماً لبيوس الثاني عشر وليوحنا الثالث والعشرين . وعمل حقاً ايضاً في الحقل الرسولي . فكم كان الله يعمل فيه سرّاً ليبيته لجمع المؤمنين بالمسيح ؛ لجعل الكنيسة حاضرة دوماً في المجتمع وكان يساعد خلفيه دون ان يفكر يوماً بانه سيكون باسم الله مفسر كل ذلك للعالم .

فالمكاملة بين البابا والعالم ليست ممكنة فحسب ولكنها بدأت . ان المسيح السيد يظهر من الانبياء الى الرسل : وبيننا كان الاولون يقولون : عبدك بسعك ؛ يقول الرسل بلسان وقلب بطرس : «عندك كلام الحياة الابدية» .

من أن ان صعد البابا بولس السدة البطرسيّة ظهرت ثقته الغالية في العمل الكاثوليكي كوسيلة فعّالة لتعطي العلمانيين مسؤولية في الكنيسة وكآلة للعمل الراعوي . ولقد كان هو بالذات المعاون الاكبر لفرع حيوي للعمل الكاثوليكي الايطالي ألا وهو الفرع الجامعي برفقة رئيس تفرّد بالعضات العالية ايجينو ريجيتي . ولم يترك اهتمامه بهذا الفرع حتى عندما تحمل مسؤولية معاون في سكرتيرية الدولة اثناثيكانية مع بيوس الحادي عشر اولا وبعده مع بيوس الثاني عشر . وله يعود اهتمام هذا الاخير بتثبيت قوانين العمل الكاثوليكي سنة ١٩٤٦ . ولا ننسى خطابه القيم في مؤتمر العلمانيين العالمي الاول . وبينما هو رئيس اساقفة ميلانو كان يعلن انه يريد ان يجعل من رسالة العلمانيين وخاصة من العمل الكاثوليكي نقطة محور في برنامج الراعوي بتنظيم الهيئات ، بالحث على الاضطلاع بالبادرات واتباع مثله العالية . ولم ينس البابا في اول كلمة قالها بعد انتخابه ليخلف يوحنا الراحل ان يحيتي « رفاقاً في العمل الكاثوليكي الذين يساعدون السلطة الكنسية » (٢٢ حزيران ١٩٦٣) .

بعد بضعة ايام من تنويجه ، في الرابع من تموز ١٩٦٣ استقبل بولس السادس مساعدي الشبية الايطالية للعمل الكاثوليكي وقال لهم ثقته ومحبه : « نريد ان نعتقد بانكم تعلمون كلكم مقدار محبتنا للشبية في أطوار عمرها كلها ، في مظاهرها كلها ، في مشاكلها كلها ، وكيف كنا دوماً نحث شبيتنا الايطالية التي عليها ان تفتخر بصلتها بالعمل الكاثوليكي . نحن كنا مبا في سينا الاولى وتبعنا اطوارها لمدة خمسين سنة وعشنا ساعاتها الفرحه ومأساتها وعرفنا رؤساءها ومعاونيها ، رفاقها واصحابها العديدين . وساعدنا حسب امكاننا ازدهارها . تأملنا روحها وشدّنا تنظيمها ودرسنا وقدرونا طرقها ونتائجها الثرية . وعمنا الرعوي قوانا في ثقنتا وعطفنا نحو هذه الجهات كلها وأعطانا اختباراً ، فرحاً ، آمالاً لن ننساها » .

في اول ايلول سنة ١٩٦٣ بينا كان يحظب البابا في فراسكاتي في عيد القديس منصور بلتوي قال : يجب على العلمانيين ان يصلوا الى اليقين التالي بانهم ليسوا فقط تمديداً ليدي الكاهن اللتين لا تعلان الى كل مناطق الحياة ولكن يقينهم مؤسس على امور اعتم واساسية اكثر : اي على انهم مسيحيون . فالمسيحي ليس باستطاعته ان يكون عنصراً سلبياً وايجابياً وخصماً للتيار الروحاني الذي يضعه الدين المسيحي في النفوس . ويضا السلطة الدينية كانت خصت بنسها مسؤولية واتمام العمل المقدس والتبشيري ، فهي اليوم تدعو العلماني الى مساعدتها في عمل التبشير . فهلموا ايها المؤمنون لمساعدة الكنيسة » .

الى ان كلم البابا العلمانيين الجامعيين في الثالث من كانون الثاني سنة ١٩٦٤  
فقال لهم انهم الجسر بين المجتمع الزمني والمجتمع الكنسي يحملون الى هذا الاخير  
اختبار العالم والى العالم شهادة الايمان .

...

واذا تكلمنا عن حجة البابا الى الاراضي المقدسة رأينا ان اللقاء المنتظر  
بين الحاج خليفة بطرس على الارض والشيخ الجليل بطريرك القسطنطينية هو  
النقطة المنعمه حيوياً وصلابةً وندامةً ومحبة . ذلك اللقاء الذي ينينا عن شيء  
من محبة المسيح الاله لابناء البشر .

وكم من الكلمات الطيبات قالها البابا في السلام والاخوة وثروة هذا الشرق  
المبارك . ان كل ذلك الا التعبير الصافي عما يكنه قلبه الكبير من خير للعالم  
واخوة للمسيحيين . ولن نذكر شيئاً من تلك الخطب وهي محفوظة في كل ما  
تشر حول الحجة المباركة .

...

هناك قم تنبي عن الروح . وعلى قمة الفاتيكان وجل : لمن ابنا البشر  
يصغي الى همسات البشر ويصعد بها صلاة الى الله ويعطي لبني الانسان  
المبادئ الواضحة الصحيحة ويحمل اليهم شعاعات الايمان ونور المحبة .